من النارجيل الى النخيل

(٣)

للاستاذ مولانا قاضى اطهر المباركپورى
(رئيس تحرير مجلة «البلاغ» الاردية)

مواطن الهنود فى جزيرة العرب

المناطق الساحلية الشمالية والغربية للهند تواجه المناطق الشمالية والشرقية لجزيرة العرب، ويحول بحر الهند[١] بين هذه المناطق من البلدين الشقيقين، وإلى هذا البحر الرابط بين القطرين يرجع الفضل الكبير فيما قام بينهما من الروابط التى نشأت منذ العهد العتيق من التاريخ واستمرت فى سبيلها إلى التوثق والنماء والازدهار. واعتبرت المناطق الساحلية لوضعها الجغرافى الممتاز كمنطقتين من قطر واحد. وكانت الروابط بين البلدين فى بداية الامر تنحصر فى نطاق التجارة والاقتصاد، ثم حصل فيها التقدم والنماء فنشأت إلى جانبها روابط فكرية، وحضارية، وثقافية كانت سببا فى توثيق العلاقات التجارية والاقتصادية العريقة نفسها.

وبالرغم من ذلك لايعثر فى التاريخ القديم على أثر يثبت منه وجود موطن فى الهند استوطنه العرب بصفة دائمة مع ان الهند كانت اوفر حظا من التقدم فى كل ناحية بالنسبة لجزيرة العرب، وكانت الحياة فى الهند اكثر جذبا وخلابة لما كان فيها من الوان المباهج والمتع بالنسبة للحياة العربية المتطبعة بطابع يغلب عليه الجفاف. ويبدو من ذلك ان التجار العرب كانوا يقصدون الهند غير انهم ما كانوا ينتهون من قضاء مأربهم

---

(١) وقد يطلق عليه بحر العرب، وحينا بحر فارس كذلك.

التجارى حتى يقفلوا راجعين إلى بلادهم ، وما كانوا يرتضون استبدال حياة اخرى بحياتهم العربية الحرة فكانوا يجدون فيها كل متعة ونزهة وبهجة وانى لهم ذلك فى الهند فهو عندهم عطاء من الهواء الصافى الطليق والفضاء الواسع الرحيب المتكون من طبيعة الصحارى الغناء . والهند على غنائها بكثير من مرافق الحياة ومقوماتها لايمكنها ان تهيئ لهم ذلك كله الذى هو اساس كل متعة ولذة عندهم فلهذا السبب لانجد آثارا تدل على موطن عربى قديم فى الهند أو على طول اقامة العرب فيها . وعلى العكس من ذلك نجد أن هناك عددا كبيرا من سكان الهند رحلوا الى جزيرة العرب واتخذوها وطنا لهم بشكل دائم وهجروا قوميتهم ووطنيتهم الهندية فاصبحوا سكان الجزيرة وقد اثر عليهم العرب باخلاقهم وحسن سلوكهم وترحيبهم تاثيرا عميقا وافقدهم الاحتكاك كل مميزات الشخصية وتحولت حياتهم الى حياة عربية خالصة فاصبحوا عربا بالكلية . واما تعامل العرب مع المستوطنين الجدد بالاخلاق وحسن الوفادة والترحيب فكان له سبب آخر إلى جانب ما فطروا عليه من رحب الصدر وسعة القلب والضيافة التى اشتهروا بها فى جميع العصور وكانت صفتهم المميزة حتى فى عصر الجاهلية ـ وذلك ان هؤلاء الهنود المستعربين كفوهم مؤنة الرحلات البحرية إلى الهند لكفالتهم بكل ما يفتقرون اليه من حاجيات حيوية حيث كانوا يقومون باستيرادها عن الهند فيجدونها بكل يسر وسهولة دون ان يكلفوا نفوسهم عناء السفر ويعتبرونهم خير عون فى الحياة الاجتماعية وقد بدأت عملية سكنى الهنود فى الجزيرة بأولئك التجار منهم الذين قطنوا فيها وكانوا يأتون من الهند بما يحتاج اليه العرب من الامتعة فيبيعونه فى مواسم العرب

واسواقهم وكان العرب ينظرون إلى هؤلاء التجار نظرة تقدير واكرام ولم يكن يتمثل ذلك فى الكف عن نهبهم وقتلهم فحسب بل كانوا يرعون جوارهم حق الرعاية بالقيام بحفاظتهم فهناك عدة قبائل عربية كبرى أخذت فى ولائها امثال هؤلاء الهنود وتوثقت بينهم الصلات حتى عدتهم تلك القبائل افرادا منها كغيرهم من الافراد تماما. ومما يلحظ ان الهنود كانوا يتفقون مع العرب الجاهليين فى الوثنية على وجه التقريب فلعبت هذه الصلة العقائدية دورها فى تنمية الروابط وتوطيدها بين الهند وبلاد العرب. ويجد الدارس للتاريخ أن كلا من المشركين والمجوس والصابئين باستثناء اليهود والنصارى كانوا يعدون الهنود شركاءهم فى النزعة والاتجاه وحقا لقد كان كثير من مظاهر الوثنية والعقائد والاعمال يغلبه إلى حد كبير لون الاتحاد والاتفاق وان عدم وجود الخلافات الدينية ووجود التقارب فى النزعة وروح الاتحاد فى معظم العادات والخصال والمثل والتقاليد بين العرب والهنود ساعد كثيرا على ان يندمج الهنود فى البيئة العربية ليصبحوا وحدة من وحداتها.

وهناك سبب آخر فى العلاقات القائمة بين العرب والهنود وهو ان ملوك ايران كانوا مسيطرين على بلوخستان والسند وسرانديب وغيرها من المناطق وكان السكان الهنود فى هذه المناطق من الزط والميد وغيرهم يعملون فى جيش إيران وحكومته وكانوا منضمين إلى «اسوار» جيش الكسرويين الملكى الخاص وقد سكنوا فى مستعمرات ايران بالجزيرة العربية وهكذا كانت تمتد سلسلة هؤلاء الهنود مثل الجنود الايرانيين الآخرين من «ابلة» (البصرة) اهم مستعمرة ايرانية ـ إلى اليمن. وقد اجتمع فى سواحل

الجزيرة الجنوبية والشرقية عدد كبير من السكان الهنود قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم واصبحت الحياة الوطنية والقومية فى تلك الجهات بوجودهم مهددة باخطار جسيمة منهم. فلما استولى الحبشة على اليمن كان فيه عدد كبير من السكان الهنود ويمكننا ان نستدل على ذلك بان حاكم اليمن السابق «سيف بن ذى يزن» لما وصل إلى بلاط ملك ايران كسرى انوشيروان وقص عليه قصته واخبره بغلبة الاجانب سأل كسرى انوشيروان سيف بن ذى يزن عمن استولى على بلاده من الاجانب الحبشة ام السند كما فى سيرة بن هشام :

« فقال ايها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة. فقال له كسرى : اى الاغربة الحبشة ام السند؟ فقال بل الحبشة[١]. »

وفى رواية للطبرى :

قال : « ايها الملك ان السودان قد غلبونا على بلادنا وركبوا منا امورا شنعة اجل الملك عن ذكرها (ص ١١٧) قال قد علمت ان بلادكم كما وصفت فاى السودان غلبوا عليها الحبشة ام السند[٢]. »

ومن خلال هذا الحوار يمكننا ان نقدر ما كان للهنود القاطنين فى المناطق الساحلية والشرقية والجنوبية للجزيرة من عدد وجمع كبير وما كان لهم من نفوذ وقوة بعد ولادة النبى صلى الله عليه وسلم. وحصلت وقعة

(١) سيرة بن هشام ـ الطبعة الجديدة ـ ج ١ ص ٦٣ ـ وكتاب التيجان كلبى طبعة حيدرآباد ـ ص ٣٠٤ وتاريخ الطبرى ـ ج ٢ ص ١١٦ ـ المطبعة الحسينية مصر (٢) تاريخ الطبرى ـ المطبعة الحسينية مصر ـ ج ٢ ص ١١٨.

الاستيلاء على اليمن بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم ويظهر من بعض الروايات انها حصلت بعد المولد بسنتين فيكتب البروفيسور «فيلب حتى» فى تاريخ العرب ان استيلاء ايران على اليمن قد تم بعد ولادة النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة ٥٧٥ م. وولد النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة ٥٧١ م[١]. وكان قد جرد الحملة على اليمن مسروق بن ابرهة الذى كان قد هاجم ابوه (ابرهة) فى عهد حكمه على مكة المكرمة يريد بذلك هدم بنيان الكعبة وكان مولد النبى صلى الله عليه وسلم بعد هذه الحادثة بخمسة وخمسين يوما[٢]. وقد جهز كسرى انوشيروان جيوشه إلى اليمن لما استغاثه سيف بن ذى يزن حاكم اليمن السابق فاخضعت الجيوش الايرانية كل المنطقة الممتدة من العراق إلى اليمن لحكم ملكهما كسرى انوشيروان.

فقد كان للسند جمع عظيم فى اليمن وما جاوره من المناطق من قبل كما علمنا مما سبق ثم أخذ عدد الهنود يتزايد بعد غلبة انوشيروان على اليمن، وكانوا لانضمامهم إلى الاساورة (فرسان ايران) يساهمون هناك فى الشئون الوطنية السياسية.

وكان باذان الذى اسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم آخر من قدم من ايران من ولاة اليمن. والامام الذهبى لما تعرض لذكر اسمه فى الكتاب تجريد اسماء الصحابة صرح بانه باذان ملك الهند[٣]. لكن الحافظ بن حجر ضعف هذا القول فى «الاصابة» وأثبت ان صحته ملك اليمن[٤].

---

(١) تاريخ العرب لبروفيسور «فيلب حتى» ـ طبع مصر ـ ص ٨٦.

(٢) رحمة للعالمين ج هامش ص (؟)

(٣) تجريد اسماء الصحابة ـ ج ١ ص ٤٥ ـ طبعة حيدرآباد.

(٤) الاصابة فى تمييز الصحابة ـ ج ١ ص ١٧٩.

وسياتى البحث المستفيض عنه فى مكانه . وكان يسكن فى اليمن كذلك منذ عهد كسرى التقى العارف الهندى «بيرزطن هندى» الذى اسلم على عهد بعثته صلى الله عليه وسلم وكان قد عرف الناس فى انحاء اليمن بحشيش القنب (ويسمى بالاردية بهنگ) كدواء استعمله للتداوى فى بعض الامراض حتى لقى هذا الدواء رواجا كبيرا من اهل تلك المناطق.[1] ومن ذلك يظهر أنه كان طبيبا كما تدل عليه القرائن وسنورد احواله فى محله .

وكان اليمن سوقا كبيرة للبضائع الهندية منذ قديم الزمان وكثيرا ما كان يتردد اليها تجار الهند ويقول الاستاذ احمد امين فى «فجر الاسلام» «وكان لسكان اليمن قديما علاقات بالهند والشرق الادنى»[2] .

ويقول فى مكان آخر من نفس الكتاب :

وكانت التجارة قديما فى يد اليمنيين وكانوا هم العنصر الظاهر فيها فعلى يدهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار وواردات الهند إلى الشام ومصر»[3] .

وفى ضوء هذه التصاريح يبدو لنا جليا ان منطقة اليمن كلها كانت عامرة بجمع كبير من تجار الهند وكان معظمهم يحترف بالتجارة .

وكما كان الهنود يسكنون بكثرة فى حدود اليمن كذلك مناطق الشمال الشرقى والعراق كانت تسكنها بعض اجناس الهند من الزط والسيابجة وكانت المدينة المركزية «ابلة» للعراق ميناء كبيرا للبوارج والسفن التجارية للصين والهند وايران وكانت لها رابطة قديمة متينة مع الهند ولذا كان

---

(١) الاصابة - ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) فجر الاسلام - ج ١ ص ٣٠ . (٣) فجر الاسلام - ج ١ ص ١٣ .

العرب يعرفونها باسم «ارض الهند» تارة وفرج السند والهند طورا. وكان ملوك ايران بعد سيطرتهم على «ابله» يشنون الحملات على الجزيرة برا ويقومون بالهجمات على ارض الهند بحرا. وذكر الطبرى فى تاريخه فى وقائع سنة ١٢ هـ «وكان فرج الهند اعظم فروج فارس شأنا واشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب فى البر والهند فى البحر»[١].

ويجب ان يكون لاولئك الزط والميد الذين كانوا فى جيش ايران منذ قديم الزمان دور كبير واسهام فعال فى هذه الحروب التى كانت تنشب فى البر والبحر ولاسيما فيما اذا كانت الحرب مع الهند فعندئذ يجدون الفرص مواتية لتقديم خدماتهم على وجه البصيرة والخبرة والاطلاع فتجل لهم القيمة وتعظم المكانة.

واما محاربة الايرانيين للهند من العراق فى البحر فلقد ظلت سلسلتها تمتد إلى عهد طفولته صلى الله عليه وسلم فان كسرى انوشيروان لما انتهى من توطيد دعائم الحكم فى اليمن جرد على الهند حملة مهيبة بخلاء ودمر سرانديپ وعثر فيها على ثراء ضخم. وتفصيل هذه الحملة على رواية الطبرى كما ياتى:

«فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى سرنديپ من بلاد الهند وهى ارض الجواهر - قائدا من قواده فى جند كثيف فقاتل ملكها فقتله واستولى عليها. وحمل إلى كسرى منها اموالا عظيمة وجواهر كثيرة»[٢].

---

(١) تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٥ - وكامل بن الاثير ج ٢ ص ١٤٧.

(٢) تاريخ الطبرى - ج ٢ ص ١٢٤ - وتاريخ ابن خلدون - ج ١ ص ١٧٧ طبع مصر.

وكان الزط والميد من الهند يقومون بخدمات جليلة فى حروب الايرانيين ويساعدونهم على اداء مهماتهم. ويقول العلامة الجليل السيد سليمان الندوى :

«وكانت هناك طريق أخرى للروابط القائمة بين العرب والهنادك وذلك ان كلا من منطقة بلوخستان والسند ظلت خاضعة فى اغلب العصور لسيطرة امبراطور ايران ونتيجة لتلك السيطرة كان الجيش الايرانى قد تمكن من تجنيد بعض ما اختاره من القبائل المحاربة المعروفة بالبسالة والكفاءة الحربية ، وقد ذكر العرب قبيلتين منها الزط والميد وهما جيلان مشهوران من الهند[١]».

واما ماعدا ابلة من مدن العراق فكانت تسكنها كذلك عصابات هندية استوطنت مختلف البقاع من العراق ويتأيد ذلك ببيان البلاذرى التالى الذى سبق اكثر من مرة :

«فانضم إلى الاساورة السيابجة وكانوا قبل الاسلام بالسواحل وكذلك الزط وكانوا بالطفوف يتتبعون الكلأ[٢]».

ومما يروى عن الوقائع التى حصلت على عهد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الجيش الايرانى عرض على ابى موسى (رضى الله عنه) انه يحب السكنى فى البصرة بعد ان يعتنق الاسلام ويود مساعدة المسلمين بالاسهام فى الجهاد الاسلامى.

قد تبين مما سلف ان سيابجة الهند وزطها كانوا يقطنون بسواحل العراق والطفوف وكانوا فى الغالب ينصرفون إلى تربية الانعام يتنقلون

---

(١) عرب وهند كے تعلقات (الروابط بين العرب والهند) ص ١١.

(٢) فتوح البلدان - ص ٣٦٧ - الطبعة المصرية.

بالسواحل من مكان إلى آخر يستنجعون الكلا ويتتبعون الماء وتطبعت حياتهم بلون الحياة العربية البدوية فاصبحوا اشبه الناس فى منهج معيشتهم بالبدو الرحل وكان هؤلاء الهنود غير الهنود الذين كانوا يعملون فى الجيش الايرانى وكانت مساكنهم متناثرة على طول الساحل العربى من الخليج العربى الذى يشمل كلامن اقطار عمان ومسقط، وقطيف والبحرين والقطر والكويت.

ومما يثبت وجود الهنود بكثرة هائلة فى سواحل الخليج العربى والطفوف فى العصر الجاهلى أن طرفيها قد بلغت بهما زيادة عمرانهم الى حد دفع العرب إلى تسمية الابلة بارض الهند[١] وفرج الهند فى ناحية كما ان عرب عمان والبحرين قد بلغ بهم الاطلاع على احوال مواطنيهم الهنود وعاداتهم وتوافقهم مع اخلاقهم مبلغا جعلهم واسطة وحيدة لتعريف أولئك الهنود بالعرب الآخرين فى ناحية اخرى واما شدة اختلاط العرب بالهنود فى هذه الجهات وتأثرهم بلغتهم وحضارتهم فقد تمخضت عن انحراف وفساد فى لغتهم العربية لحرمت عربية هذه القبائل العربية روعتها وقوة سحريتها لفقدان الفصاحة والبلاغة وبلغ بها الانحطاط والركاكة إلى درجة افقدتهم الاعتماد وخرجت عربيتهم من نطاق التراث الادبى العربى الذى يعول عليه فى الحكم بصحة شئ من الكلام وفساده ويوضع النثر والشعر فى ميزانه لمعرفة الفصاحة والبلاغة وصحة التركيب والاستعارة.

وللبرهنة على ما اسلفناه آنفا نثبت هنا ما اورده العلامة القاضى بن صاعد الاندلسى فى كتاب «طبقات الامم» نقلا عن المورخ العربى

---

(١) كتاب الخراج للامام ابى يوسف ـ ص ٧١ ـ طبقات بن سعد . ج ٧ ص ٢ ـ تاريخ الطبرى وكامل بن الاثير ـ ج ٢ ص ١٨٨ .

المعروف بالهمدانى صاحب الاكليل مما يلقى الضوء على ان هذه القبائل العربية كانت واسطة بين عامة العرب والهنود يقول العلامة :

«ومن وقع من نصر من الأزد بعمان فعنه أتى كثير من اخبار السند والهند وشئ من اخبار فارس[1]».

واما فساد اللغة فيقول فى ذلك الدكتور مصطفى صادق الرافعى فى «تاريخ آداب العرب» بعنوان «الرحلة إلى البادية» ان اللغة العربية انما اخذت من الاعراب والبدو ولا سيما القيس وتميم غير ان البدو الذين لم تبق لغتهم عربية خالصة لمخالطتهم للعجم لايوخذ منهم واليك نبذة من نصه :

«وخاصة الذين كانوا يسكنون اطراف بلادهم المجاورة لمن حولهم من الامم ، فانه لايوخذ لامن لخم ولامن جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ...... ولامن عبد القيس وازد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولامن اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة[2]».

وكانت قبيلة عبد القيس ترتبط بسكان الهند برباط قوى وتصادفها بعض الاحيان ظروف وفرص تتيح لها المخالطة والتعامل مع اهل الهند. ويقول اخنس بن شهاب احد شعراء تغلب فى مدح لكيز بن عبدالقيس[3] :

لكيز لها البحران والسيف كله .

ومما يدل كذلك على ما كان للهنود من الكثرة الكاثرة فى عمران البحرين وعمان ومناطقهما الساحلية انه لما ثارت عاصفة فتنة الارتداد

---

(١) طبقات الامم - ص ٥٩ .

(٢) تاريخ ادب العرب - ج ١ ص ٣٤٣ .

(٣) صفة جزيرة العرب للهمدانى - ج ١ ص ١٥٤ - كما نقل فى عربون كى جهاز رانى (ملاحة السفن عند العرب) ص ٣٠ .

فى هذه الجهات على اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقامت قبائل مختلفة بالثورة الماجنة ضد الاسلام اشركت هذه القبائل العربية أيضا فى هذه الفتنة أولئك الهنود الذين كانوا يساكنونها فى هذه المناطق والذين لم يكونوا قد اسلموا بعد وخاصة اضطر الزط والسيابجة الذين كانوا يسكنون القطيف وهجر ودارين وجواثا إلى ان يساهموا قبيلة بنى عبدالقيس فى حربهم .

وقد كتب الامام الطبرى فى وقائع سنة ١١ هـ عن ردة اهل البحرين ما يأتى :

«ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم خرج الحطم بن ضبيعة اخو بنى قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة ومن تأشب اليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافرا حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة وبعث إلى دارين»[١] .

ولقد قامت هذه القبائل مع من نجحت فى استغوائه وممالاته واستصحبته معها من الزط والسيابجة - ببلبلة صاخبة و ثورة جامحة فى تلك الجهات وحاصرت المسلمين واقامت حولهم من كل جانب حصارا شديدا يمنع عنهم وصول الميرة الاقتصادية والغذائية . ولما بلغ ذلك علاء بن الحضرمى وجه لتاديب بنى عبد القيس وحطم الجارود وبعد معركة حامية استطاع الجارود ان يعاقبهم عقابا شديدا حيث ألحق بهم هزيمة نكراء تبدد بها شملهم ذهب بعضهم ضحية المعركة ومن بقى منهم من المنهزمين

---

(١) تاريخ الطبرى - ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ - كامل بن الاثير - ج ٢ ص ١٤١

هربوا إلى دارين حيث لحقوا منه ببلادهم بحرا راكبين اليها السفن. كما يقول ابن الاثير:

«وقصد عظم الفلال إلى دارين فركبوا اليها ولحق الباقون ببلادهم»[1].

ولفظ الطبرى فى ذلك كما يلى:

وقصد العظم الفلال لدارين فركبوا فيها السفن ورجع الآخرون إلى بلاد قومهم»[2].

ويتبين من تصريح هذين المؤرخين ان الجيش المنهزم من البغاة والمرتدين الذى كان عدوه ضخما لجأ إلى الفرار ووصل إلى ميناء دارين وخفوا منها إلى أوطانهم فى مختلف الجهات ويستلزم ذلك ان الزط والسيابجة الذين كانوا من بين المنهزمين الفارين لابد ان يكون قد تم رجوعهم إلى الهند حسب ما يقتضيه القياس المؤسس على البيان السالف الذكر.

وان الهنود كما كانوا يسكنون فى المناطق الساحلية من الخليج العربى كذلك كانوا يسكنون فى المناطق الداخلية من شبه جزيرة العرب وكانت لهم فيها مساكن وقرى يسكنونها بصفة دائمة. فنجد بعض الآثار التى يثبت منها وجود الهنود فى المنطقة الوسطى من نجد وكانوا يقطنونها منذ العصور القديمة وقد ظلوا معتنقين لديانتهم إلى ما بعد عهد بعثته صلى الله عليه وسلم وساعدوا الكفار والمشركين والمرتدين ايام فتنة الارتداد عن طريق تزويدهم بالاسلحة الهندية التى استخدمت ضد المسلمين فى المعارك التى استتبعتها هذه الفتنة الفوضوية. غير انه يتعذر لنا الحكم

---

(١) كامل بن الاثير - ج ٢ ص ١٤٢.

(٢) تاريخ الطبرى - ج ٣ ص ٢٥٩.

لحاسم عن ذلك بوجه من الوجوه هل باعوها من القبائل العربية ام هدوها إليهم فيحتمل ان تكون تبرعا منهم كما يحتمل ان يكون العرب قد اشتروها من هؤلاء الهنود وهناك احتمال ثالث وهو انها جاءتهم مستوردة من الهند بالصفقة على انه يغلب على الظن انها كانت عرضا وتبرعا من مواطنيهم زط الهند وسيابجتها يقصدون بذلك مساعدة العرب فى الحروب الناشبة. فلما حارب المسلمين مسيلمة الكذاب فى اليمامة احدى مناطق نجد بالعلانية بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وجه ابوبكر رضى الله عنه إلى اليمامة خالد بن الوليد رضى الله عنه لقتال مسيلمة الكذاب وجيشه ولما كان خالد بن الوليد فى طريقه إلى اليمامة وقد كان على وشك الوصول اليها اذ صادفته جماعة من بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب فدارت بينها وبين جيشه معركة حامية انتهت بالقضاء على افراد هذه الجماعة عن بكرة ابيهم فلم يبق منهم إلا مجاعة بن مرارة بن سلمى الذى اسره خالد بن الوليد وأخذه معه وواصل السير حتى نزل بموضع يبعد من اليمامة بميل واحد ولما بلغ ذلك اهل اليمامة خرجوا لملاقاة الجيش المرابط وبيدهم سيوف تلتمع فلما رآها خالد بن الوليد رضى الله عنه خيل اليه انهم يتعاركون فيما بينهم ولما ذكر ذلك لجيشيه اخبره مجاعة بان الامر الواقع ليس كذلك وانماهم يقومون بتجلية سيوفهم الهندية ويعرضونها للشمس استعدادا وتهيئا للحرب. وبصدده يقول البلاذرى :

فرأى خالد البارقة فيهم، فقال يا معشر المسلمين قد كفاكم الله مؤنة عدوكم ألا ترونهم وقد شهر بعضهم السيوف على بعض واحسبهم

قد اختلفوا ووقع بأسهم بينهم . فقال مجاعة وهو فى حديدة كلا ولكنها الهندوانية خشوا تحطمها فابرزوها للشمس لتلين متونها[1] .

ويستبين من هذه الرواية ان الهنود القاطنين فى اليمامة وما جاورها من المناطق كانوا قد زودوا مسيلمة الكذاب وجيشه باجود انواع السيوف المصنوعة بالهند وكانت لهذه السيوف شهرة عظيمة بين العرب . وكان للهنود كذلك عدد كبير فى نجران المدينة الشهيرة من اليمن على عهد بعثته صلى الله عليه وسلم وكان عرب نجران متأثرين إلى حد كبير بحياة الهنود وملبسهم كما يظهر ذلك من جملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم استعملها بمناسبة خاصة بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى الربيع الآخر أو الجمادى الاولى سنة ١٠ خالد بن الوليد إلى قبيلة بنى الحارث فى نجران ليدعوهم للاسلام فدعاهم خالد إلى الاسلام فقبلوا دعوته من دون تردد ودخلوا فى الاسلام فكتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى خالد يامره بحضور المدينة على رأس وفد من بنى الحارث بن كعب فقدم خالد المدينة ومعه وفد منهم يتكون من ستة نفر كما فى سيرة ابن هشام :

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم قال من هؤلاء القوم كأنهم رجال الهند . قيل يا رسول الله هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب[2] » .

---

(١) فتوح البلدان ـ ص ٩٨ ـ طبع بمطبعة مصرية ـ ازهر .

(٢) سيرة ابن هشام ـ ج ٢ ص ٥٩٣، ٥٩٤ ـ وتاريخ الطبرى ـ ج ٣ ص ١٥٧ ولفظ الطبرى «هؤلاء القوم الذين كأنهم (باضافة الذين) و «هؤلاء بنو الحارث » .

ويمكننا فى ضوء الرواية السالفة ان تستنتج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له معرفة جيدة بصور رجال الهند وشاراتهم وهيئاتهم ويفهم إلى جانب ذلك ان الهنود كان لهم جمع غفير فى مدينة نجران واطرافها وجعلتهم المخالطة للعرب يتشابهون معهم فى كثير من الشئون واقتبس بعضهم من حضارة الآخر واختار كل ما استطاب من الآخر وازداد عن هذا الاختلاط والتفاعل الشديد الشبه فيهم حتى صعب التمييز بين الهنود والسكان المحليين فى بعض الأحيان لما كان بينهم من التقارب الكبير فى اللباس والشارة نتيجة لقبول بعضهم لمؤثرات حضارة البعض الآخر.

ونجد من الآثار ما يثبت ان الهنود أيضا كانوا يسكنون غربى الجزيرة العربية فى الحجاز وكان اهل مكة المكرمة يعرفون عنهم شيئا كثيرا. فمن ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما لقى من قومه ما لقى فى بداية عهده بالبعثة من الوان المساوئ والظلم والاذى نظم عمه ابو طالب قصيدة طويلة اشتملت على مئات الابيات اكد فيها عدم اقلاعه عن حماية ابن اخيه وقد ورد فى بعض هذه الأبيات ذكر الهنود بما يأتى:

بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ضوارى اسود فوق لحم حرادل

بنى امــة محبــوبة هندكيــة بنى جمح عبيد قيس بن عاقل[1]

ومما ينهض معنا دليلا كذلك على اثبات وجود الهنود وخاصة الزط منهم فى مكة المكرمة سند نستفيده من اثر ابن مسعود ويتبين به ان اهل مكة كانت لهم معرفة تامة بالزط وكانوا ملمين بوجوههم وصورهم

(١) سيرة ابن هشام - ج ١ ص ٢٧٩ - طبعت سنة ١٣٧٥ بمصر.

وازيائهم وشاراتهم. فلقد حدث فى مولد عهد الاسلام ان اتجه
صلى الله عليه وسلم إلى بطحاء مكة ذات ليلة وصحبه عبد الله بن مسع
رضى الله عنه فرأى هناك قوما من الجن وكان يبدو من صورهم وهيئ
وهياكلهم كأنهم الزط من الهند وقد بينه ابن مسعود رضى الله عنه بما يأ

«بينما انا جالس فى خطى اذ اتانى رجال كأنهم الزط
اشعارهم واجسامهم لا ارى عورة ولا ارى قشراً.»[١]

فان اتيان ابن مسعود بهذا التمثيل والتشبيه فى بيانه ان دل
شئ فانما يدل على انه كان يعرف تمام المعرفة ما كان للزط من صو
وهيئة مميزة مع العلم بانه لم يكن قد خرج من مكة المكرمة فى أشـ
تكفل تعريفه بهم.

ولا يخفى ان «المدينة المنورة» هى مدينة مركزية فى الحجاز وتا
فى الدرجة الثانية بعد مكة المكرمة. وظلت هذه المدينة سوقا كبيرة
عصرها الجاهلى وكانت هناك روابط تجارية اصيلة تربطها بالبحرين وع
والعراق والشام وغيرها من الاقطار وكانت تجارة سوق المدينة مع
الاقطار عن طريق الاستيراد والتصدير. غير أنه لم يتيسر لنا الاطلا
على وقعة حصلت فى المدينة المنورة على عهد حياة النبى صلى الله ع
وسلم وكانت فيها الدلالة على شئ عن الزط فيكشف مثلا عما اذا كان ،
اسهام فى التجارة على انه ان لم يكن مثل هذه الوقائع فان هناك بعـ
روايات يثبت بها وجود الزط فى المدينة المنورة ايضا فقد اثبت الا
البخارى فى الادب المفرد تحت باب بيع الخادم من الاعراب رواية ع
عمرية الانصارية ربيبة عائشة رضى الله عنها :

---

(١) سنن الترمذى ـ باب الامثال.

« ان عائشة رضى الله عنها وبرت امة لها ، فاشتكت عائشة فسال بنو أخيها طبيبا من الزط[١] » .

أخرج هذه الروايات الامام ابو عبد الله الحاكم فى مستدركه[٢] والاغلب ان هذه الوقعة انما كانت بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كما يشهد بذلك ظاهر لفظ الرواية غير أنها صريحة فى اثبات ان الزط كانوا ايضا فى المدينة المنورة وكان بعضهم يشتغل بالطب فيقوم بالتداوى والعلاج وانما تكفى هذه الوقعة فى اثبات وجودهم فى المدينة فحسب ولا تعين على معرفة وجودهم فى عهد حياته صلى الله عليه وسلم وقبله بالتأكيد غير انه يترجح عند العقل أنهم وجدوا فى المدينة قبل هذه الوقعة بزمن .

وتوجد فى شمال الجزيرة العربية وغربها آثار للهنود ويثبت من بعض الروايات أنهم كانوا يسكنون فى الجهات القريبة من تبوك فلقد اثبت الامام البخارى فى الادب المفرد ما دار بين النبى صلى الله عليه وسلم وابى رهم رضى الله عنه فى غزوة تبوك من الحوار الطويل الذى سأله فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أولئك النفر من قبيلة بنى غفار الذين لم يشتركوا فى هذه الغزوة فاجابه على ذلك :

« فقال : ما فعل النفر الحمر الطوال الثط ، قال فحدثته بتخلفهم . قال فماذا فعل السود الجعاد القصار الذين لهم نعم بشبكة شرخ[٣] » .

---

(١) الادب المفرد ـ ص ٢٧ ـ المطبعة التازية بمصر .

(٢) فضل الله الصمد ـ ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) الادب المفرد للامام البخارى ـ ص ١١٢ .

والغالب على الظن ان المراد بـ « النفر الحمر الشط » فى هذه الاثر انما هو قوم من العبيد والموالى الهنود . والمراد بـ « السود الجعاد القصار » العبيد والموالى الذين كانوا ينتمون إلى السلالة الحبشية .

الاحمر الذي يجمع على الحمر والاحامر والاحامرة ، وكذلك المحمرة كلاهما يستعمل فى جزيرة العرب للموالى العجم الذين كان الهنود يمثلون غالبيتهم الكبرى .

وهذا موجز الحديث الذى يتناول بالذكر أولئك الهنود ومساكنهم الذين كانوا يقطنون فى جزيرة العرب . وان باحثا لو قام بدراسة كتب الاحاديث والتاريخ والسير بهذه الوجهة من النظر لعثر على معلومات اوفر واكثر فى هذا الموضوع .
